

تنفياً قوتنا، وهم مستقبل مرهونٌ بحاضرنا،
وحياةٌ تتشكل بتربيتنا، وهم بعد ذلك كله:
بعضُ الحاضر، وكلُّ المستقبل.

الطفولة.. مرحلة بريئة من عمر
الإنسان، مرحلة توحى بالجمال، وترمز إلى
عالم متكامل من النقاء، والأطفال هم مرآة
مجتمعاتهم، وكيفما يكن الأطفال تكن
الأمم.. إنهم بهجة الحياة وزينتها.. الطفولة
براءة روح.. الطفولة نقاء قلب.. والأطفال
غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرّة عين
الإنسان، وزهور الأمّة، وبراعم الغد
المشرق.. الأطفال تذكّار الصبا، ووديعة الله
المقدّسة، وهدية السماء..

والطفولة بستان يأوي إليه الكبار“
فيغسلوا همومهم في نقاوة أطفالهم، ويحتلوا
جمال الحياة في بسّمات صبيانهم.. أفصحُ
تعبير يستمطر الحنان: تأتأة طفل. وأبلغُ نداءٍ
يستجيشُ الحبّ: لشغّة صغير..

إنهم ربيع وزهر، وأكاليل ياسمين، قصّة
الأمل الذي لا ينتهي. يقول الله عزَّ وجلَّ:
{المالُ والبَنونُ زينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا}. الكهف:
٤٦. وفي الحديث الشريف، يقول رسول
الله (صلى الله عليه وسلّم): ((أكرموا
أولادكم، وأحسنوا أدبهم)).

وقد قيل في الأطفال عبر التاريخ
الكثير، ممّا يعبر عن شفافية نفوسهم، ففي
أمثال الهند: (بيت بدون طفل كالقبر). وفي

من وحي الطفولة



علاء الدين حسن

Aladin.hasan@gmail.com

.. في دُورنا، وتحت سقوف
منازلنا، أبحارُ غصّة، وأجنحة كثيرة، وفي
أغصان دوحنا أعوادٌ طريّة، وبراعم ناشئة“
أولئك هم الأطفال، ثمرات القلوب، وقطع
الأكباد، أطفالنا عجزٌ تحت قُدرتنا، ومسكنة

إسبانيا يقولون: (أسمى حبّ هو حبُّ
الأطفال). وفي التراث العربي نجد قول
الشاعر (حطّان بن المعلّى):

وإنّما أولادنا بيننا، أكبا

دُنا تمشي على الأرضِ

لو هبّت الرّيحُ على بعضهم

لا مُنعت عيني عن الغمضِ

وفي العصر الحديث، ازداد الاهتمام
بالأطفال، وكان (جان جاك روسو) واحداً
من أهمّ رواد هذا الاهتمام، ومن أشهر أقواله
في الطّفل: "ما من شكّ أنّه يجب أن لا يعمل
إلاّ ما يريد..". أمّا التشكيليّ العالميّ (بابلو
بيكاسو)، فيقول: "لقد قضيت خمسين عاماً
من عمري" لأتعلّم الرّسم كالأطفال". وقال
(فولتير): (الأطفال.. إنهم حقاً أغنية الحياة).
وقالت (بام براون): "إنّ هذه الأيدي
الصّغيرة الرّقيقة تمسك بقلوبنا إلى الأبد".

ومن أجل ما قيل في الطّفولة، ما قاله
الشاعر السّوريّ (بدويّ الجبل) في قصيدة
شفيفة جاء في بعض أبياتها:

ويَا رَبِّ! مِنْ أَجْلِ الطّفولة وَحدها

أفِضْ بَرَكَاتِ السّلمِ شَرْقاً وَمَغْرِباً

وَصِنْ ضَحْكةَ الأَطْفالِ يَا رَبِّ، إِنَّها

إِذا غرَدَتْ فِي موحشِ الرّمْلِ أعشَباً

ويقول الشّاعر (سليمان العيسى): "كلُّ
واحد منّا يحمل في أعماقه طفلاً يُحبُّ أن

يغني، ويقفز، ويمرح".

ورغم كثرة ما أنتجته المدينةُ الحديثة
من مفاهيم، إلاّ أنّ ثمة أنماطاً سلوكيّة خاطئة
كثيرة لا تزال تُمارَس بحقّ الطّفل.. فكم بين
جدران البيوت، وأسوار المدارس، من طفولةٍ
مُنتهكة، وبراءةٍ مُغتالة، يتعرضُ الأطفال في
صورها للضّغط النّفسي، والعنف البدني،
والتّعذيب الجسدي.. ترى ذا الأربعة أعوام،
أو الخمسة أعوام، يُقلّب عينين ماؤهما
الطّهْر، وبريقهما البراءة، يُقلّبها في أبيه القادم
إليه، ويخفيق فؤاده الغضّ لمراى أبيه، مُنتظراً
منه ضمّةً أو قُبلة، فإذا لَسعُ النَّارُ يفجره، أو
الصّرب العنيف يتلقّفه، وسلاحُ الطّفل - ويا
لسلّاحه - أنّاتٌ متقطّعة، وزفّراتٌ
مُتحرّجة، وقد غابَ المِعين والنّاصر.

ومن صور الإساءة المنتشرة: الصّياحُ
والصّراخُ في وجه الطّفل، وتهديده وتخويفه،
وكثرة مُعاتبته وتعنيفه..

- وبعد: إنّ خطأ الأطفال مغفور،
وذنبهم معفوٌّ عنه، فالله عزّ وجلّ قد رفع
عنهم قلم التّكليف، فلنرفع نحن عنهم
أساليب التّعنيف، ولنا في هدي النّبّيّ -
ﷺ- قدوةٌ وأسوةٌ عن (أنس) - رضي الله
عنه - قال: خدمتُ النّبّيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - عشر سنين، فما قال لي أفٍّ، ولا
لِمَ صنعتَ، ولا ألا صنعتَ □